استقلال السودان ١٩٥٦

أشرنا فيما سبق الى بروز اتجاهين متميزين في الحركة الوطنية السودانية بعد أنتهاء الحرب العالمية الثانية. ويذهب الأتجاه الاول الى تأييد الأتحاد مع مصر بينما يسعى الأتجاه الثاني الى تحقيق الأستقلال التام. اندلعت خلال المفاوضات ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ وكان من اولى اعمال قادة الثورة المصرية اعلانهم بانهم على استعداد لفصل السودان عن مسألة جلاء القوات البريطانية من منطقة قناة السويس وذلك في اية مفاوضات قادمة مع بريطانيا . ويذكر الاستاذ محمد عمر بشير في كتابه « تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠ – ١٩٦٩ » ان هذا الامر مهد لفهم افضل لاتجاهات السياسة السودانية . مما ادى الى الوصول الى اتفاق نهائي مع بريطانيا .

لقد هجرت قيادة الثورة في مصر السياسة التقليدية السابقة للحكومات المصرية المتعاقبة واختطت طريقاً جديداً . اذ بادرت باستئناف المفاوضة مع حزب الامة واعلنت صراحة في ١٢ تشرين الاول ١٩٥٢ سعيها لان يكون للسودانيين حق تقرير مصيرهم بانفسهم . وفي ١٠ شباط ١٩٥٣ توصلت الى اتفاق مماثل مع الاحزاب الاتحادية . وفي ١٢ شباط ١٩٥٣ وقعت في القاهرة اتفاقية بين الحكومتين المصرية والبريطانية بشأن الحكم الذاتي وتقرر المصير للسودان . وخلال شهري تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٥٣ اجريت الانتخابات لاول برلمان سوداني وفي اول كانون الثاني ١٩٥٤ حصل الحزب الوطني الاتحادي على اغلبية واضحة في البرلمان وانتخب اسماعيل الازهري رئيساً لاول وزارة سودانية . وقد عملت هذه الوزارة التي تشكلت في ٩ كانون الثاني ١٩٥٤ على تحقيق الحكم الذاتي وتصفية الحكم الثنائي وسودنة معظم الوظائف . وفي ١٦ آب ١٩٥٥ اصدر البرلمان السوداني قرارا يطلب فيه اتخاذ التدابير اللازمة لتقرير المصير وقد بلغ هذا القرار لدولتي الحكم الثنائي مصر وبريطانيا ، وعلى اثر ذلك بدأت القوات العسكرية البريطانية والمصرية بالانسحاب من السودان . وفي ٢٩ آب ١٩٥٥ قدم اقتراح في مجلس النواب يقوم على اعتبار الاستفتاء الشعبي الوسيلة الفعالة لتقرير مصير السودان . ولكن هذا القرار مالبث ان عدل عنه لما ايقنت الاحزاب السودانية ان اجراء استفتاء في بلد واسع الارجاء ، معظم سكانه من غير المتعلمين قد يثير مشاكل عديدة ولايحقق الهدف المنشود هذا فضلاً عن استحالة اجراء استفتاء شعبي في الجنوب حيث سبب التمرد انهياراً واضحاً في حالتي الامن والادارة وفي ١٩ كانون الاول اعلن قرار بالعدول عن الاستفتاء واصدر البرلمان اعلانا بان السودان اصبح دولة مستقلة ذات سيادة اعتباراً من اول كانون الثاني سنة ١٩٥٦

استقلال تونس ١٩٥٦ :

أحتلت جيوش الحلفاء تونس في ٨ أيار سنة ١٩٤٣ . ودخلت الجيوش الفرنسية تونس تحت حماية جيوش الحلفاء . وقد أستغلت السلطات الفرنسية فرصة الحرب لخلع الباي محمد المنصف بحجة ميله الى قوات المحور يوم ١٤ أيار ١٩٤٣ ونفيه الى بلدة الاغوات جنوبي الجزائر . ثم انصرفت السلطات الفرنسية بعد ذلك لقمع الحركة الوطنية فأصدرت اوامرها بأعدام المئات دون محاكمة . كما نسفت القرى الآمنة بسكانها وألقت بالمئات من الوطنيين في السجون . وقد أضطرت هذه الظروف الحزب الدستوري الجديد الى العمل السري ، وعقد مؤتمراً في شباط ١٩٤٥ أصدر بعده قرارات تطالب بضرورة منح تونس استقلالاً ذاتياً . كما اوفد الحزب الحبيب بورقيبة الى مصر . فغادر تونس في ٢٦ آذار ١٩٤٥ واجتاز حدودها سراً ، وبعد سفرة طويلة مملوءة بالمخاطر والمتاعب وصل القاهرة يوم ٢٦ نيسان ١٩٤٥ . وقد أنصرف بورقيبة في القاهرة الى الأتصال بممثلي الأقطار العربية لدى جامعة الدول العربية والحصول على دعم لقضية أستقلال تونس ،

عاد صالح بن يوسف الى تونس في ١٣ ايلول ١٩٥٥ فحاول بورقيبة اقناعه بالعدول عن معارضته للاتفاقيات . وعرض عليه رئاسة الحكومة لكن بن يوسف رفض ، فقرر بورقيبة فصله من الحزب ورد صالح بن يوسف على بورقيبة بأجراء مماثل ، وانقسم بذلك الحزب الدستوري الجديد على نفسه . فكان المكتب السياسي برئاسة بورقيبة والامانة العامة برئاسة بن يوسف وقد اصدرت الحكومة الفرنسية امراً باعتقال صالح بن يوسف الذي فر الى ليبيا فاصدر بورقيبة قرارا بحل الامانة العامة . وكان لهذه التطورات ، ولعوامل تتعلق بتعاظم المد القومي في الجزائر والمغرب اثر في استجابة الحكومة الفرنسية لنداء بورقيبة باستئناف المفاوضات بعد ان ادركت ان معارضتها له قد تدفع بالتونسيين الى معارضة بورقيبة نفسه . وفي ٢٠ آذار ١٩٥٦ اعلنت حكومة غي مولية الفرنسية الغاء معاهدة ١٢ ايار ١٨٨١ واستقلال تونس استقلالا تاما . وقد احتفظت فرنسا بقاعدة بنزرت البحرية حتى تشرين الاول ١٩٦٣ . وكانت اول خطوة اقدمت عليها تونس عقب حصولها على الاستقلال إبعاد البايات واعلان قيام النظام الجمهوري يوم ٢٥ تموز ١٩٥٧ . وقد تسلم بورقيبة ورفقاؤه من قادة الحزب الدستوري الجديد الذي يطلق عليه الآن الحزب الاشتراكي الدستوري مقاليد الحكم حتى يومنا هذا ،

قيام الجمهورية العربية المتحدة

وبعد فشل العدوان الثلاثي على مصر، تبادل الوفدان البرلمانيان السوري والمصري الزيارات، وعمت كل انحاء مصر وسوريا موجة عارمة من التظاهرات الشعبية تطالب بتطوير التعاون وتوجيهه نحو اقامة دولة واحدة، بعلم واحد ورئيس واحد وجيش واحد. وفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٧ عقد مجلس النواب السوري جلسة تاريخية حضرها اعضاء وفد مجلس الامة المصري، وفي ١٩ تشرين الثاني ١٩٥٧ اصدر البرلمان السوري والمصري قرارا يخولان فيه حكومتيهما التفاوض من اجل تحقيق الوحدة.

التقى وفد سوري عسكري ضم الاستاذ صلاح الدين البيطار وزير الخارجية بالرئيس عبدالناصر يوم ١٦ كانون الثاني ١٩٥٨، وخلال المباحثات تطرق الجانبان الى بحث المبادىء الدستورية لدولة الوحدة وتم تشكيل لجنة لصياغة الاجراءات ووضع جدول زمني لذلك وعاد الوفد السوري الى دمشق في ٢٧ كانون الثاني واجتمع مجلس الوزراء السوري لمناقشة ماتم بحثه في مصر ثم عاد الى مصر حاملاً مشروع الاتحاد. وفي ٢٨ كانون الثاني تبنى مجلس الوزراء السوري الصيغة النهائية لوحدة القطرين وقد حملها صلاح الدين البيطار. وفي ٣١ كانون الثاني وصل الى القاهرة الرئيس السوري شكري القوتلي على راس وفد سوري كبير، وقد استقبلوا في مصر استقبالا شعبيا حافلاً. وتبع ذلك اجراء المباحثات التي انتهت في ١ شباط ١٩٥٨ باعلان الوحدة بين مصر وسوريا وقيام الجمهورية العربية المتحدة. كما تم الاتفاق على اجراء استفتاء شعبي. وقد حصل قرار الوحدة على مايشبه الاجماع وبعد اعلان نتائج الاستفتاء في ٢١ شباط ١٩٥٨ ~~يوم~~ واحد اصبحت الجمهورية العربية المتحدة حقيقة واقعة وانتخب الرئيس عبدالناصر، ليكون اول رئيس لها بعد ان حصل على ٩٩٪ من الاصوات في كلا القطرين.

وفي ٥ اذار ١٩٥٨ صدر الدستور المؤقت الذي اكد بان الدولة العربية الجديدة جمهورية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة وشعبها جزء من الامة العربية وتتكون من اقليمين هما مصر وتعد الاقليم الجنوبي وسوريا وتعد الاقليم الشمالي وينشأ من كل اقليم مجلس تنفيذي يرأسه رئيس يعين بقرار من رئيس الجمهورية ويعاونه وزراء يعينهم رئيس الجمهورية باقتراح من رئيس المجلس. اما السلطة التشريعية فيتولاها مجلس يسمى مجلس الامة وفي ٧ اذار ١٩٥٨ شكلت اول حكومة مركزية برئاسة الرئيس عبد الناصر

لعبت عدة عوامل موضوعية دورها في اللقاء بين القطرين السوري والمصري على طريق الوحدة العربية بينهما منها :

١ ـ توفر العوامل المكونة لوحدة الشعور القومي بين سوريا ومصر كاللغة والثقافة والتاريخ والمصلحة المشتركة .. وهي متوفرة ايضاً بين سوريا واي قطر عربي آخر .

٢ ـ العلائق التاريخية بين القطرين . اذ كانت سوريا ومصر منذ القدم تشبهان بمصراعي باب يتم أحدهما الآخر . وكانت الدول التي تنشأ في سوريا تسعى لضم مصر والعكس صحيح ايضاً . كذلك كانت الحقبة التاريخية التي كان فيها القطران يتحدان سياسياً اطول زمنيا من التي كانا فيها منفصلين .

٣ ـ كانت كل من مصر وسوريا في تلك الفترة من أكثر الاقطار العربية تحرراً من القيود الاستعمارية . واكثرهما تقارباً في المستويات السياسية والثقافية والاجتماعية .

٤ ـ الثقل البشري والاقتصادي والفكري لمصر وموقعها الجغرافي المتميز بين المشرق العربي ومغربه يعد الدعامة الاساسية في تحقيق الوحدة العربية الشاملة . (١٥٠)

الموقف الدولي على قيام الوحدة بين سوريا ومصر

لم تلق الوحدة بين سوريا ومصر ارتياحاً لدى الاوساط الغربية . بل اعتبرت هذا الحدث تهديداً خطيراً لمصالحها في المنطقة العربية . فقد صرح المسؤولون البريطانيون « بان الغرب سيكون لديه امور كثيرة يقلق بشأنها من قيام الجمهورية العربية المتحدة . فالسوريون والمصريون حرصوا على الاشارة بكثير من الارتياح الى ان الدولة الموحدة ستكون بعد الآن في موقف يمكنها من السيطرة على الشرايين الهامة لنقل البترول . لاسيما وان سوريا لديها الانابيب التي تمر لتصب في البحر المتوسط . وان مصر لديها قناة السويس وهناك ما يشير الى ان الدولة الجديدة قد تتخذ من هذه الامور سلاحاً تشهره في وجه الغرب » . (٨٥)

كما وقفت كل من تركيا والكيان الصهيوني مواقف معادية من قيام الوحدة . فالاوساط الصهيونية رأت في قيام الجمهورية العربية المتحدة خطراً يهدد امن كيانها . وشعرت بالقلق والخوف ازاءها . وهي تشكل عبئاً ثقيلاً وجديداً على امن الكيان الصهيوني . وفي الوقت نفسه لاقت الوحدة تأييداً شعبياً كبيراً في مختلف انحاء الوطن العربي الكبير في مشرقه ومغربه وقد حصل الانفصال في ٢٨ ايلول ١٩٦١ حيث قامت مظاهرات تندد بالانفصال وتطالب بالوحدة .

نشأة الاتحاد العربـي الهاشمي :

ظهرت في كل من العراق والاردن . رغبة جامحة لتحقيق الاتحاد بينهما . فبعد اعلان قيام الوحدة بين سوريا ومصر . اوفد الملك حسين بن طلال ملك المملكة الاردنية الهاشمية وزير البلاط الملـكي سليمان طوقان الى بغداد يحمل رسالة الى الملك فيصل الثاني ملك العراق لزيارة عمان . وفي ١١ شباط وصل الملك فيصل عمان على رأس وفد كبير . ولم يلبث المجتمعون ان توصلوا الى اعلان الاتحاد العربي بين العراق والاردن : وفي ١٤ شباط ١٩٥٨ صدر في عمان بلاغ مشترك عن الاتفاق اعاد الى الاذهان ايام الثورة العربية الـكبرى واهدافها في تحرير الوطن العربـي الـكبير . وتوحيده ومما جاء فيه ان الاتحاد يكون مفتوحا للدولة العربية الاخرى الراغبة في الانضمام اليه . وان تحتفظ كل من الدولتين بشخصيتها الدولية المستقلة . وسيادتها على اراضيها . وبنظام الحكم القائم فيها . كما اكد الاتفاق على تنفيذ اجراءات الاتحاد بين الدولتين اعتباراً من تاريخ الاعلان الرسمي لقيام الاتحاد في توحيد الجيش والسياسة الخارجية ومناهج التعليم .

لقد تولت شؤون الاتحاد حكومة اتحادية مؤلفة من مجلس تشريعي وسلطة تنفيذية ويكون ملك العراق رئيسا للاتحاد : وفي حالة غيابه يحل ملك الاردن محله ويكون مقر حكومة الاتحاد بصورة دورية في بغداد لمدة ستة اشهر من السنة وفي عمان لستة اشهر اخرى . وتضع حكومة الاتحاد دستوراً خلال مدة لاتزيد عن ثلاثة اشهر من تاريخ توقيع الاتفاق . وفي ٧ اذار ١٩٥٨ وضعت الصيغة النهائية لمشروع الدستور وفي ١٢ اذار تـم تشريعه وقد نص على ان الاتحاد يتكون من المملكة العراقية والمملكة الاردنية الهاشمية ، (مادة ١) وتتألف حكومة الاتحاد من رئيس الاتحاد ، وسلطة تشريعية وسلطة تنفيذية وسلطة قضائية (مادة ٤) ويعاد النظر في وضع رئاسة الاتحاد عند انضمام دول اخرى اليه (مادة ٥) ويتألف مجلس الاتحاد من اربعين عضواً عشرون منهم من العراق وعشرون من الاردن (مادة ١٠) ومدة مجلس الاتحاد اربع سنوات (مادة ١٣) وتناط السلطة التنفيذية برئيس الاتحاد ، ويمارسها بواسطة مجلس وزراء الاتحاد (مادة ٣٥) ورئيس الاتحاد هي القائد الاعلى للجيش الجديد (الجيش العربـي) .

حلف الملك فيصل الثاني بصفته رئيسا للاتحاد العربـي يوم ١٩ ايار ١٩٥٨ نوري السعيد تشكيل اول وزارة للاتحاد . وقد اختار السعيد زملاءه من ستة اشخاص يمثـل نصفهم الشطر العراقي ويمثل النصف الاخر الشطر الاردني . واصبح لرئيس الوزراء الاتحادي نائبا من الأردن .

إثر انقلاب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق اصدر رئيس الوزراء العراقي والقائد العام للقوات المسلحة بياناً في ١٦ تموز اعلن فيه انسحاب الجمهورية العراقية من الاتحاد ،

قد بدا واضحاً ان ذلك الاتحاد كان رداً عاجلاً على قيام الوحدة بين مصر وسوريا ، وكانت غايته الرئيسة البرهنة للجماهير العربية على ان الانظمة الملكية لا تشكل عقبة في سبيل تحقيق الوحدة العربية .

واهم ما جاء في مقدمته انه « لما كانت رسالة الثورة العربية التي قضى الشريف حسين في سبيلها قد انتقلت الى الابناء والاحفاد يتوارثونها جيلاً بعد جيل لتبقى المشعل المنير الذي يهدي امة العرب في سيرها نحو آمالها وآمانيها المنشودة في الوحدة الشاملة ، فقد قررت الدولتان الهاشميتان انشاء اتحاد بينهما ، وقد تم الاتفاق على ان يقوم الاتحاد على الأسس التالية : ـ

اولاً : ينشأ اتحاد عربي من المملكة الاردنية الهاشمية والمملكة العراقية باسم (الاتحاد العربي) اعتباراً من ١٤ شباط ١٩٥٨ ويكون هذا الاتحاد مفتوحاً للدول العربية الأخرى التي ترغب في الانضمام اليه .

ثانياً : تحتفظ كل من الدولتين بشخصيتهما الدولية المستقلة وبسيادتيهما على اراضيها وبنظام الحكم القائم فيها .

ثالثاً : تبقى المعاهدات والمواثيق والاتفاقات الدولية التي سبق وان ارتبطت بها كل من الدولتين قبل قيام الاتحاد بينهما مرعية بالنسبة الى الدولة التي عقدتها وغير ملزمة للدولة الاخرى .

ثم نص الاتفاق على وحدة السياسة الخارجية والتمثيل الدبلوماسي ووحدة الجيش وازالة الحواجز الكمركية بين الدولتين وتوحيد مناهج التعليم . كما نص على ان يكون ملك العراق رئيساً لحكومة الاتحاد . وفي حالة غيابه لاي سبب يكون ملك الاردن رئيساً لحكومة الاتحاد .(٨٧)

لقد فشلت بعض المشاريع الوحدوية ، وقسم منها لم يخرج الى حيز التنفيذ . فضلاً عن ان السياسة الاستعمارية كانت ولا تزال ترى أن من مصلحة الغرب ترسيخ التجزئة في الوطن العربي وتعميقها ، كي يسهل عليها استغلال خيراته والافادة من موقعه الممتاز ستراتيجياً وتجارياً والحيلولة دون نهوضه وقيامه بدوره الانساني الحضاري اما ابرز المشاريع والخطوات الوحدوية التي شهدها الوطن العربي في تاريخه المعاصر فهي مشروع الهلال الخصيب ومشروع سوريا الكبرى وجامعة الدول العربية والجمهورية العربية المتحدة والاتحاد العربي الهاشمي ، وبعد نشوب الحرب العراقية – الايرانية سنة ١٩٨٠ بادرت بعض اقطار الخليج العربي الى اقامة « مجلس التعاون لدول الخليج العربية » ، كاطار للتنسيق بين هذه الاقطار في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية .